

الرَّسَالَة ١٧

هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةَ!

(Arabic - This man welcomes sinners!)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةَ!

ومن إنجيل لوقا الأصحاح الخامس عشر نقرأ العددَيْن الأول والثاني:

"وكانَ جَمِيعُ العَشَّارِينَ والخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ فَتَدْمَرُ الفَرِيسِيُّونَ والكَتَبَةُ قَائِلِينَ هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةَ وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ".^١

كان الكتبة اليهود في الأزمنة الغابرة يقومون بنسخ التوراة.. فلم يكن عصر الطباعة قد بدأ بعد.. وكانوا يعتمدون على ما ينسخه الكتبة من مخطوطات.. وكان الكتبة والفريسيون في عصر السيد المسيح يحفظون الشريعة عن ظهر قلب ويقومون بتفسير نصوصها للشعب.. منهم من آمن بالسيد المسيح ورأى فيه تحقيقاً لنبوءات العهد القديم.. ولكن كثيرين منهم كانوا مرائين.. ولقد وبَّخهم الرب يسوع بشدة على ريائهم وادعائهم البر.. وبَّخهم لأنهم أغلقوا باب الخلاص فلا هم دخلوا ولا سمحوا لغيرهم بالدخول.. إذ قال لهم: "لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأون لأنكم تخلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون".^٢

ويحدثنا لوقا البشير في إنجيله الأصحاح الخامس عشر عن النقد الذي وجَّهه الفريسيون والكتبة إلى الرب يسوع قائلين: "هذا يقبلُ خطاةً ويأكلُ مَعَهُمْ".. تَدَمَّرُوا عَلَيْهِ لِأَنَّهُ سَمَحَ للعَشَّارِينَ وَهُم جِبَاةُ الضَّرَائِبِ لِلسُّلْطَةِ الرُّومَانِيَّةِ الْمُحْتَلَّةِ لِبِلَادِهِمْ.. كَمَا سَمَحَ للخُطَاةِ أَيْضاً أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مَعَ العِلْمِ أَنَّ العَشَّارِينَ والخُطَاةِ أَحْبَبُوا تَعْلِيمَهُ وَرَفَضُوا تَعْلِيمَ هؤُلاءِ المُنْتَدِمِينَ.. فَلَقَدْ بُهَّتِ العَشَّارُونَ والخُطَاةُ مِنْ تَعْلِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ.. إِذْ جَاءَ بِإِنجِيلِي البَشِيرِينَ مَتَى وَمَرَقَسَ ذَلِكَ النِّصَّ عَنْ يَسُوعَ المَسِيحِ "لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة".^٣

تَدَمَّرَ الفَرِيسِيُّونَ والكَتَبَةُ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ النِّقْدَ لَمَّا رَأَوْا العَشَّارِينَ والخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ.. لِذَلِكَ ضَرَبَ لَهُمْ مِثْلَ الابْنِ الضَّالِّ.. وَمِغْزَى المِثْلِ أَنَّ الأبَّ السَّمَاوِيَّ يَرْحُبُ بِالضَّالِّ عِنْدَ عَوْدَتِهِ بَعْضُ النَّظَرِ عَنْ سَوْءِ الحَالَةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا فِي فَسَادِهِ وَضَلَالِهِ.. وَيُرِينَا المِثْلُ إِلَى أَى حَدِّ فَرَحِ الأبِّ وَاحْتِفَالِ بَعُودَةِ ابْنِهِ الضَّالِّ.. وَبِالتَّأَمُّلِ فِي ذَلِكَ المِثْلِ نَرَى سَبْعَةَ صُورٍ رَسَمَهَا السَّيِّدُ المَسِيحُ وَنَلْمَسُ فِيهَا عَمَقَ مَحَبَّةِ الأبِّ السَّمَاوِيَّ.^٤

أولاً.. "وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله".. ما أروع هذه الصورة التي جاءت بمستهل المثل عن الابن وهو في طريقه راجعاً إلى بيت أبيه.. لقد كانت دوامة من الأفكار المتضاربة في رأسه! ماذا سيكون موقف أبي متى وأنا عائدٌ إليه؟! هل سيغلق الباب في وجهي؟! هل سيرسلني إلى أحد خدامه ليقول لي: لست ابني بعد! لا مكان لك في بيتي! اذهب وابق حيث كنت! أم أنه سيقبلني ويرق قلبه لتوسلاتي وأهاتي ودموعي فيرحمني؟! لم تدم هذه الأفكار في ذهنه طويلاً وهو يقترب شيئاً فشيئاً إلى بيت أبيه.

لقد حدثت مفاجأة لم تكن في حساب الابن: "وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله".. أتخيل الأب أنه كان كل يوم في ساعة معينة يقف في مكان معين.. وعيناه متطلعتان إلى الأفق البعيد في اتجاه لا يتغير.. اتجاه طريق العودة.. وفي انتظار بلا ملل للحظة اللقاء.. هذه الصورة رسمها الرب يسوع ليوضح لنا أنه في اللحظة التي يعزم فيها الخاطي على التوبة ويبدأ أولى خطواته تجاه بيت الأب ستكون أحضان محبة الأب مستعدة لاستقباله.. تعلن الصفح والغفران.. سيغمر الأب بنعمته المتفاضلة تلك النفس التائبة..

استمع إلى الإنجيل

إنجيل مرقس ١: ٢٢

١ إنجيل لوقا ١٥: ١-٢

٢ إنجيل متى ٢٣: ١٣

٣ إنجيل متى ٧: ٢٩

٤ إنجيل لوقا ١٥: ١١-٣٢

وبفيض من حبه وسلامه العجيب. أخى: إن كنت محتاجاً لصفح وغفران من مولاك لا تتردد. لا تظن أنه أهملك لأنك سقطت. كلا. إنه أهملك وليس إلا. فإن كنت في طريقك راجعاً سيرارك ويتحنن ويركض ويقع على عنقك ويقبلك. تعال إليه فانت عزيز على قلبه هو أبوك السماوى وقد دبر أمر فداك وهو أيضا الذى بعد عودتك يردك.

ثانياً.. "أخرجوا الحلة الأولى واليسوءة".. لقد جاء الابن فى ثياب ممزقة تتبعث منها رائحة الخنازير.. لم ينتظر الابن حتى يصلح من حاله ويأتى نظيفاً أنيقاً.. ليضمن رضا أبوه عليه.. وإن انتظر فحتى متى! لقد انتظر طويلاً فصار إلى حال أردأ.. يا للفرحة التى غمرته وهو يسمع أباه يأمر عبيده: "أخرجوا الحلة الأولى واليسوءة!".. عزيزى القارئ: إن الخطيئة تدنس ثياب الخاطى.. بل هى تجرده من كل ما يستتره.. قل لى أخى! من فضلك: من غير الأب السماوى ليستر عيوبنا ويغطي عورتنا؟!.. ويكسونا برداء بره وقداسته؟!^١

ثالثاً.. "اجعلوا خاتماً فى يده".. إن الخطيئة تفقدنا هويتنا. ومعاشرة الأشرار تسلبنا فضائلنا.. وتسليم نفوسنا لإرادة الشيطان يعطيه الحق أن يقيدنا بسلاسله.. فنصير عبيداً له فى مملكته.. وليس غير أبينا السماوى قادراً على تحريرنا.. مجدداً لاسمه.. لقد أرسل الأب الابن الوحيد ليترد إلينا كرامتنا المفقودة ويحرر نفوسنا.. "وإن حررنا الابن فى الحقيقة نكون أحراراً". أخى الفاضل: إن ابن الملك يدعى أميراً.. له حقوق وامتيازات ابن الملك.. ومن حقه خاتم فى يده.. ونحن المؤمنون أولاد الله.. أولاد الملك.. أولاد ملك الملوك ورب الأرباب.. إنه امتياز وما أروع سجله يوحنا الرسول فى رسالته الأولى قائلا: "انظروا أية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله".^٢

رابعاً.. "اجعلوا خاتماً فى يده وجزاء فى رجليه".. لم يكتف الأب بأجل ثوب ليكسو ابنه حين عاد إليه.. ولم يكتف بخاتم ثمين ليضعوه فى يده.. إن عيني الأب تتطلع إلى الابن.. فإذا به يرى ابنه حافى القدمين.. ما اشمأز الأب وما لأم ابنه وإن كان هذا من حقه.. ولا سأله عن مال ضيعة.. لم يقل له: أما بقى من مالك شيء حتى تأتى إلينا حافى القدمين؟!.. لم يحدث هذا.. لم تخرج من فم الأب كلمات تأنيب أو تقريع لابنه.. بل أصدر الأمر لعبيده: اجعلوا خاتماً فى يده وجزاء فى رجليه". اكتملت زينته وحسن فى عيني الجميع منظره.. لقد جمل الأب ابنه فظهر فى أحسن صورة.. بكل إعجاب ينظر أبوه إليه وبكل احترام وتقدير ينظر عبيد أبيه إلى ابن كرمه أبوه.^٣

خامساً.. "ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد.. فابتدأوا يفرحون".. هيا بنا نلنقط صورة للحفل البديع الرائع.. كان ظنى أن الابن عند عودته يكون مصدر أحران وآلم.. فعلى حد قول أخيه الأكبر أن الأخ الأصغر كان عارا على الأسرة.. وليس الأصغر هو الابن العاق؟!.. الذى كانت تأتى أسوأ أخباره من المدينة البعيدة فيتمزق قلب الأب عند سماعها؟!.. ما ذكر الأب وقت عودة ابنه الأخبار السيئة.. بل نسيها تماماً.. ولم يعد يذكرها بعد.. إن الخبر السعيد هو الأمل الوحيد.. وقد تحقق.. وصدرت الأوامر من رب الأسرة: قدموا العجل المسمن واذبحوه فناكل وفرح.. لأن "ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد.. فابتدأوا يفرحون".. يعوزنى الوقت كى أتحدث عما أعده الله لكل نفس تائبة راجعة من مملكة الظلمة إلى بيت العز.. بيت الأب السماوى.^٤

سادساً.. "صوت آلات الطرب والرقص فى بيت الأب".. ما كان يدري الابن الضال أنه عزيز وغال بهذا القدر على قلب أبيه.. ليت كل خاطئ بعيد عن الله يعلم قيمة نفسه وكم هى عزيزة وغالية فى عيني الرب.. وإلا ما كان السيد المسيح تحمل آلام الصليب نيابة عنها.. وما ارتضى الأب السماوى سفك دم الابن الوحيد.

سابعاً.. "هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب".. لقد لاموا السيد المسيح لأنه يقبل خطاة.. ولكن يا فخرنا به لأنه يقبل خطاة.. أخى العزيز.. أدعوك لترفع قلبك مشتركاً معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أعلن أمام جلالك توبتى. وبعزم القلب أعلن عودتى إلى ذاك الذى يقبل الخطاة.. أرفع طلبتى فى اسم المسيح فادى الخطاة.. متكللاً على وعدك القائل: من يقبل إلى لا أخرجته خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ١٥: ٢٢ - ٢٤

^٢ إنجيل يوحنا ٨: ٣٦ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ١

^٣ سفر المزمير ٤٥: ٢

^٤ إنجيل لوقا ١٥: ١٠ & ٣٠